السلسلة السلفية للرسائل والكتب النجدية (٩)

توفيق الرحمن

في دروس القرآن

تأليف

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك

(١٣١٣ - ١٣٦٦هـ)

رحمه الله

حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد

الجزء الرابع

من سورة الشورى إلى سورة الناس

دار العليان

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الدرس السادس بعد الثلاثمائة

﴿سورة الضحى﴾

مكية وهي إحدى عشرة[١] آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

* * *

عن قتادة ﴿والضحى﴾ ساعة من ساعات النهار ﴿والليل إذا سجى﴾ سكن بالخلق: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ قال ابن عباس يقول: ما تركك ربك وما أبغضك. قال قتادة: «أبطأ عليه جبريل فقال المشركون: قد قلاه ربه وودّعه، فأنزل الله ﴿ما ودّعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى﴾»[٢] قال ابن

---

(١) في (الأصل): «عشر» وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٣١) عن قتادة مرسلاً. وقد روي نحوه من حديث جندب البجلي ــ رضي الله عنه ــ قال: «أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقالت امرأة من قريس، لقد =

كثير[١]: وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها إطراحاً كما هو معلوم بالضرورة من سيرته. وعن قتادة ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى﴾ قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى.

قال ابن كثير[٢] وقوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ كقوله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[٣]. وعن قتادة ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾: أي لا تظلم ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ قال: ردّ السائل برحمة ولين ﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾ قال مجاهد: بالنبوّة، وعن أبـي نضرة قال: «كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدّث بها».

• • •

= تركه صاحبه، فأنزلت: ﴿والضحى والليل إذا سجى...﴾ الآية. أخرجه البخاري (ح/١١٢٤ و ١١٢٥ و ٤٩٨٣ و ٤٩٥٠ و ٤٩٥١)، ومسلم (ح/١٧٩٧).

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢٢).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٥٢٣).

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.

﴿سورة الشرح﴾

مكية، وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

* * *

قال ابن كثير[1] **يقول تعالى:** ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني أما شرحنا لك صدرك؟ أي نورّناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً؟ كقوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾. وعن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله ما أوّل ما رأيت من أمر النبوّة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت يا أبا هريرة، إنّي في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قطّ، وأرواح لم أجدها من خلق قطّ، وثياب لم أرها على أحد قطّ، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كلّ واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسّاً، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه، فأضجعاني بلا هصر ولا قصر، فقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغلّ والحسد، فأخرج شيئاً كهيئة العلقة،

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢٤).

ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج شبه الغضّة، ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى، فقال: أُعْدُ وأسلم، فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»[1]. رواه عبد الله ابن الإمام أحمد.

وعن قتادة قوله ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك﴾ كان للنبيّ ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له. وقال ابن زيد: شرح له صدره وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن ينبّأ، فوضعه. وعن مجاهد ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ قال: لا أُذكر إلاَّ ذُكِرْتَ معي: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وعن قتادة في قوله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ قال النبيّ ﷺ «ابدؤوا بالعبودية وثنّوا بالرسالة»[2]؛ قال معمر: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله. وعن الحسن قال: خرج النبيّ ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك، وهو يقول: «لن يَغلب عسر يسرين، لن يَغلب عسر عسرين ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾»[3]. قال مجاهد: يتبع اليسر العسر.

وعن ابن عباس قوله ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ يقول: فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة، فسل الله وارغب إليه وانصب له. وعن مجاهد ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ قال: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب، قال: فصلّ ﴿وإلى ربك فارغب﴾ قال: اجعل رغبتك ونيّتك إلى ربك. وفي الحديث: «لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»[4].

• • •

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٩) بسند ضعيف، وحديث شق الصدر ثبت من وجه آخر عند مسلم وغيره.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٣٥) من قتادة مرسلاً.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٣٦) من الحسن مرسلاً.

(٤) أخرجه مسلم (ح/ ٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

﴿سورة التين﴾

مكية، وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

* * *

عن البراء بن عازب قال: «سمعت النبيّ ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه»[1]. متفق عليه. وعن الحسن في قول الله ﴿والتين والزيتون﴾ قال: تينكم هذا الذي يؤكل، وزيتونكم هذا الذي يعصر. ﴿وطور سينين﴾ قال: جبل موسى. ﴿وهذا البلد الأمين﴾ قال: البلد الحرام. قال مجاهد: مكّة. ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ قال قتادة: وقع القسم ههنا؛ قال ابن عباس: في أعدل خلق؛ وقال قتادة: في أحسن صورة. ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال ابن عباس: إلى أرذل العمر. وعن عكرمة قال: من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر، ثم قرأ ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. وعن مجاهد ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال: إلى النار.

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٤٩٥٢ و ٧٥٤٦)، ومسلم ح/ ٤٦٤).

﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾ إلاَّ من آمن؛ وقال الحسن هو كقوله ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[١].

قال ابن القيّم[٢]: (والصحيح أن أسفل سافلين النار). وعن الكلبي ﴿فما يكذّبك بعد بالدين﴾؟ إنما يعني الإنسان، يقول: خلقتك في أحسن تقويم ﴿فما يكذّبك﴾ أيها الإنسان ﴿بعد بالدين﴾؟ قال عكرمة: الحساب.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ **قال البغوي**[٣]: والمعنى ألاَّ تتفكّر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول: أن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذّبك بالمجازاة بعد هذه الحجج؟ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أقضى القاضين؟ وروينا أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿والتين والزيتون﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»[٤].

• • •

(١) سورة العصر: الآيات ١ ــ ٣.

(٢) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٥٦).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٧٣).

(٤) سبق تخريجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وسنده ضعيف.

الدرس السابع بعد الثلاثمائة

﴿سورة العلق﴾

مكية، وهي تسع[1] عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾.

* * *

قوله عز وجل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.

عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من

---

(١) في (الأصل): «تسعة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه ــ وهو التعبّد ــ الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوّده لمثلها، حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: «فقلت: ما أنا بقارىء ــ قال ــ فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء ، فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فغطّني الثالثة حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ » قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: «زمّلوني زمّلوني»، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع؛ فقال: «يا خديجة ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي»، فقالت له: كلاّ أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها، وكان امرءاً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربيّ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيّ هُمْ؟» فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قطّ بما جئت به ألا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً؛ ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً، غدا منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقّاً، فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه، فيرجع فإذا طالت

عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذورة الجبل تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك»[١]. متفق عليه واللفظ لأحمد.

وعن قتادة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ قرأ حتى بلغ ﴿علّم بالقلم﴾ قال: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم ولم يصلح عيش. وقال ابن زيد في قوله ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ قال: علّم الإنسان خطّاً بالقلم. قال ابن كثير[٢]: والقلم تارة يكون في الأذهان، وتارة في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان.

قوله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.

قال البغوي[٣]: ﴿كلاّ﴾ حقّاً ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ ليتجاوز حدّه وليستكبر على ربه ﴿أن﴾ لأن ﴿رآه استغنى﴾ أن رأى نفسه غنياً ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾: أي المرجع في الآخرة. وعن قتادة ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى﴾ نزلت في عدوّ الله أبي جهل، وذلك لأنه قال: لئن رأيت محمداً يصلّي لأطأنّ على عنقه، فأنزل الله ما تسمعون. وكان يقال: لكلّ أمّة فرعون، وفرعون هذه الأمّة أبو جهل.

﴿أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ قال: محمد كان على الهدى وأمر بالتقوى. ﴿أرأيت إن كذّب وتولّى﴾: يعني أبا جهل. ﴿ألم يعلم بأن الله يرى

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٣ و ٢٣٢)، والبخاري (ح/ ٣ و ٤٩٥٣ و ٦٩٨٢)، ومسلم (ح/ ١٦٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢٨).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٧٥).

كلاّ لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يصلّي عند المقام فمرّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعّده، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد بأيّ شيء تهدّدني؟ أما والله إنّي لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ قال ابن عباس: لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته»[1]

﴿كلاّ لا تطعه واسجد واقترب﴾ **قال البغوي**[2]: ﴿كلاّ﴾ ليس الأمر ما عليه أبو جهل ﴿لا تطعه﴾ في ترك الصلاة ﴿واسجد﴾ وصلّ لله ﴿واقترب﴾ من الله. وساق الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[3]. **قال**: ومعنى ﴿أرأيت﴾ ههنا: تعجيباً للمخاطب، وكرّر هذه اللفظة للتأكيد؛ قال: وتقدير نظم الآية: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى وهو على الهدى أمر بالتقوى، والناهي مكذّب متولّ عن الإيمان؟ أي: فما أعجب من هذا! ﴿ألم يعلم﴾: يعني أبا جهل ﴿بأن الله يرى﴾ ذلك فيجازيه؟ ﴿كلاّ﴾ لا يعلم ذلك ﴿لئن لم ينته﴾ عن إيذاء محمد ﷺ وتكذيبه ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لنأخذنّ بناصيته فلنجرّنّه إلى النار، كما قال ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾[4]؛ يقال: سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذباً شديداً، والنصاية: شعر مقدّم الرأس. ثم قال على البدل ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾: أي صاحبها كاذب خاطىء. قال ابن عباس: «لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة، انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: اتنتهرني؟ فوالله لأملأنّ عليك هذا الوادي إن شئت

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٩)، والترمذي (ح/ ٣٣٤٩)، وقال: «حديث حسن غريب صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥١٨)، وابن جرير (٣٠/ ٢٥٤)، وهو حديث حسن.

(٢) المصدر السابق (٤/ ٤٧٦).

(٣) أخرجه مسلم (ح/ ٤٨٢).

(٤) سورة الرحمن: الآية ٤١.

خيلاً جرداً ورجالاً مرداً»؛ قال الله عز وجل ﴿فليدع ناديه﴾: أي قومه وعشيرته: أي فلينتصر بهم.

﴿سندع الزبانية﴾ قال ابن عباس: يريد زبانية جهنّم، سمّوا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها. وروى ابن جرير وغيره عن أبـي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، فقال: واللات والعزّى لئن رأيته يصلّي كذلك لأطأنّ على رقبته، ولأعفّرنّ وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلّى ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلاَّ وهو ينكص على عقبيه ويتّقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إنّ بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»[1].

• • •

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٢٧٩٧).

﴿سورة القدر﴾

مكية، وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.

* * *

عن ابن عباس قال: «نزل القرآن كلّه جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً، أنزله منه حتى جمعه، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة».

وقال ابن كثير[1]: يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل ﴿إنا أنزلنا في ليلة مباركة﴾ وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾. قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصّلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

ثم قال تعالى معظّماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢٩).

فقال ﴿وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ وعن مجاهد ﴿ليلة القدر﴾ ليلة الحكم. قال الحسن ﴿فيها يفرق كلّ أمر حكيم﴾ فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق إلى مثلها. وعن مجاهد ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر. قال قتادة ﴿خير من ألف شهر﴾ ليس فيها ليلة القدر. ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ أمر﴾ قال قتادة: يقضي فيها ما يكون في السنة إلى مثلها. ﴿سلام هي﴾ قال: خير كلّها ﴿حتى مطلع الفجر﴾ إلى مطلع الفجر، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[1].

وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه»[2].

وقد اختلف العلماء في تعيينها، والجمهور أنها ليلة سبع وعشرين، وما استنبطه بعضهم من عدد كلمات السورة وقد وافق قوله فيها ﴿هي﴾ سابع كلمة بعد العشرين؛ قال ابن عطية: «إنه من ملح التفاسير، وليس من متين العلم». والله أعلم.

• • •

(١) أخرجه البخاري (ح/٢٠١٧ و ٢٠٢٠)، ومسلم (ح/١١٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٢٠٠٨ و ٢٠٠٩)، ومسلم (ح/ ٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الدرس الثامن بعد الثلاثمائة

﴿سورة البينة﴾

مكية، وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

* * *

قوله عز وجل ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبـيّ بن كعب: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾»، قال: وسمّاني لك؟ قال: «نعم» فبكى[1]. متفق عليه. وفي حديث مالك بن عمرو بن ثابت[2] عند الإمام أحمد قال: «لما نزلت ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ إلى آخرها قال جبريل: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيّاً»[3]. الحديث. وعن الترمذيّ أن رسول الله ﷺ قال لي: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، فقرأ ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ فقرأ فيها «ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب، ويتوب الله على من تاب. وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهوديّة ولا النصرانيّة، ومن يفعل خيراً فلن يُكْفَرَهُ»[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (الأصل)، والنسخة التي بخط المؤلف: «عمرو بن ثابت»، وهو خطأ.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٩)، والطبراني (٢٢/ ٣٢٧)، والدولابي في «الكنى» (١/ ٢٤ ــ ٢٥) بسند ضعيف، لكنه صح من وجه آخر من حديث أنس وأبـي رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٣١ و ١٣٢)، وأبو داود والطيالسي (ح/ ٥٣٩)، ومن طريقه الترمذي (ح/ ٣٧٩٣)، وقال: «حسن صحيح»، وأيضاً (ح/ ٣٨٩٨) وقال: «حسن»، والحاكم (٢/ ٥٣١)، وصححه ووافقه الذهبـي.

قال ابن كثير[١]: وإنما قرأ عليه النبيّ ﷺ هذه السورة تثبيتاً له وزيادة لإيمانه، فإنه كان قد أنكر على عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ، فرفعه إلى النبيّ ﷺ فاستقرأهما وقال لكلّ منهما: «أصبت» قال: أبيّ: فأخذني من الشكّ وَلَاءٌ إذ كنت في الجاهليّة، فضرب رسول الله ﷺ في صدري، قال أبيّ: ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله فرقاً؛ وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال: «إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته، فقال: على حرفين، فلم يزل حتى قال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمّتك القرآن على سبعة أحرف»[٢]، فلما نزلت هذه السورة وفيها ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة فيها كتب قيّمة﴾ قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلّم واستذكار. والله أعلم. وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة، وكان فيها قال: أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوّف به». فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبيّ ﷺ سورة الفتح، دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ الآية. انتهى.

وعن مجاهد في قول الله ﴿منفكّين﴾ قال: لم يكونوا لينتهوا حتى يتبيّن لهم الحقّ. وعن قتادة في قوله: ﴿منفكّين﴾ قال: منتهين عما هم فيه ﴿حتى تأتيهم البيّنة﴾: أي هذا القرآن ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر ويثني عليه بأحسن الثناء. **وقال ابن كثير**[٣]: أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم. وقال مجاهد:

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح/ ٨٢٠ و ٨٢١).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٣٧).

لم يكونوا ﴿منفكّين﴾ يعني منتهين حتى يتبيّن لهم الحقّ؛ وهكذا قال قتادة ﴿حتى تأتيهم البيّنة﴾: أي هذا القرآن، ولهذا قال تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة﴾ ثم فسّر البيّنة بقوله ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة﴾ يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى في صحف مطهّرة، كقوله ﴿في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فيها كتب قيّمة﴾ **قال ابن جرير**[٢]: أي في الصحف المطهّرة ﴿كتب﴾ من الله ﴿قيّمة﴾ عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءتهم البيّنة﴾ كقوله ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات أولئك لهم عذاب﴾[٣] يعني بذلك أهل الكتب المنزّلة على الأمم قبلنا، ما أقام الله عليهم الحجج والبيّنات تفرّقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كثيراً كما جاء في الحديث المرويّ من طرق: «أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلاَّ واحدة»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٤]. انتهى.

قال البغوي[٥]: ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال: ﴿وما أمروا﴾ يعني هؤلاء الكفار: ﴿إلاَّ ليعبدوا الله﴾ يعني إلاَّ أن يعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ قال

---

(١) سورة عبس: الآية ١٣.

(٢) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ٢٦٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٨٢).

ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلاَّ بالإخلاص العبادة لله موحّدين: ﴿حنفاء﴾ مائلين عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام ﴿ويقيموا الصلاة﴾ المكتوبة في أوقاتها ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ عند محلّها و ﴿ذلك﴾ الذي أمروا به ﴿دين القيّمة﴾: أي الملّة والشريعة المستقيمة.

قوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

وهذه الآيات كقوله تعالى ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾[1]. وكقوله تعالى ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾: أي هذا الجزاء لمن خاف ربه واتقاه، بفعل طاعته وترك معصيته. وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقولون: لبيّك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا ربّ وقد أعطيتنا ما لم عط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألاَّ أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربّ وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[3]. متفق عليه.

• • •

(١) سورة التوبة: الآية ٦٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(٣) سبق تخريجه.

﴿سورة الزلزلة﴾

مدنية، وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

* * *

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن، ﴿وإذا زلزلت﴾ تعدل ربع القرآن»[1]. رواه البزار. قال ابن جرير[2]: يقول تعالى

---

(١) أخرجه البزار كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/٥٣٨)، وفي سنده ضعف. وبنحوه ــ أيضاً ــ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا نزلت تعدل نصف القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»، أخرجه الترمذي (ح/٢٨٩٣)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث هذا الشيخ الحسن بن مسلم»، والعقيلي في (الضعفاء» (١/٢٤٣) بسند ضعيف، وبنحوه عن ابن عباس: أخرجه الترمذي (ح/٢٨٩٤)، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث يمان بن المغيرة»، والحاكم (١/٥٦٦)، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: بل يمان ضعيف» قلت: وسنده ضعيف.

(٢) انظر «جامع البيان» (٣٠/٢٦٥).

ذكره ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ لقيام الساعة ﴿زلزالها﴾ فرجّت رجّاً. وعن سعيد قال: زلزلت الأرض على عهد عبد الله فقال لها عبد الله: مالك؟ أما إنها لو تكلّمت قامت الساعة. وعن ابن عباس ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ قال: الموتى. ﴿وقال الإنسان مالها﴾ قال: الكافر: ﴿يومئذ تحدّث أخبارها﴾ قال سفيان: ما عمل عليها من خير أو شرّ: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ قال: أعلمها ذلك؛ وقال ابن عباس: أوحى إليها. وعن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدّث أخبارها﴾ قال: «أتدرون ما أخبارها»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كلّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»[1]. رواه أحمد والترمذي.

وقوله تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ كقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ليروا أعمالهم﴾ قال ابن عباس: ليروا جزاء أعمالهم ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾ وعن صعصعة بن معاوية أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾ قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها»[3]. رواه أحمد وغيره.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (ح/ ٢٤٢٩)، وأيضاً (ح/ ٣٣٥٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٢٠)، والحاكم (٢/ ٢٥٦) وصححه، وسكت عنه الذهبي، وأيضاً أخرجه (٢/ ٥٣٢)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري»، قلت: وسنده ضعيف.

(٢) سورة الروم: الآية ١٤ ــ ١٦.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٢١)، والطبراني (٨/ ٩٠)، والحاكم (٣/ ٦١٣).

قال البغوي[١]: وكان رسول الله ﷺ يسمّيها الجامعة الفاذّة، حين سئل عن زكاة الحمير فقال: «ما أنزل عليّ فيها شيء إلاَّ هذه الآية الجامعة الفاذّة ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾»[٢].

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٤٩٦٢ و ٤٩٦٣)، ومسلم (ح/ ٩٨٧).

الدرس التاسع بعد الثلاثمائة

﴿سورة العاديات﴾

مكية، وهي إحدى عشرة[1] آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾.

* * *

عن ابن عباس في قوله ﴿والعاديات ضبحاً﴾ قال: الخيل؛ قال قتادة: هي الخيل عدت حتى ضبحت. ﴿فالموريات قدحاً﴾ قال: هي الخيل؛ قال الكلبي: تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار. ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ قال: أغارت حين أصبحت. ﴿فأثرن به نقعاً﴾ قال: أثرن بحوافرها نقع التراب. ﴿فوسطن به جمعاً﴾ قال: وسطن جمع القوم.

---

(١) في (الأصل): «عشر»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ قال: لكفور. **قال ابن كثير**[١]: هذا هو المقسم عليه، بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود. وقال الحسن: الكنود هو الذي يعدّ المصاب وينسى نعم الله عليه. **قال ابن القيّم**[٢]: (وأصل اللفظ: منع الحقّ والخير، وعبارات المفسّرين تدور على هذا المعنى. وقيل: هو البخيل الذي يمنع رفده، ويجيع عبده، ولا يعطي في النائبة). انتهى ملخصاً.

وقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ قال قتادة يقول: إن الله على ذلك لشهيد. **قال ابن كثير**[٣]: ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان، قاله محمد بن كعب القرظيّ؛ قلت: وهذا هو المتبادر للذهن، ويؤيّده سياق الضمائر، فإن قوله ﴿وإنه لحبّ الخير لشديد﴾ للإنسان، فافتتح الخير عن الإنسان بكونه كنوداً، ثم ثنّاه بكونه شهيداً على ذلك، ثم ختمه بكون بخيلاً بماله لحبّه إيّاه. وقال ابن زيد في قوله ﴿وإنه لحبّ الخير لشديد﴾ قال: الخير الدنيا، وقرأ ﴿إن ترك خيراً الوصية﴾[٤].

﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ **قال البغوي**[٥]: ﴿أفلا يعلم﴾ هذا الإنسان ﴿إذا بعثر﴾ أثير وأخرج ﴿ما في القبور وحصّل ما في الصدور﴾ قال ابن عباس يقول: أبرز. ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ قال الزجاج: الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى أنه يجاريهم على كفرهم في ذلك اليوم.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٤٢).

(٢) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٨٦).

(٣) المصدر السابق (٤/ ٥٤٢).

(٤) وتمامه قوله: «فقلت ــ أي ابن وهب ــ : إن ترك خيراً: بالمال؟ قال: نعم، وأي شيء هو إلاَّ المال»؟.

(٥) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٨٦).

﴿سورة القارعة﴾

مكية، وهي إحدى عشرة[١] آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

* * *

عن ابن عباس في قوله ﴿القارعة ما القارعة﴾ قال: هي الساعة. **قال البغوي**[٢]: ﴿القارعة﴾ اسم من أسماء القيار﴾ إلى ﴿كلاّ سوف تعلمون﴾. قال الحسن: هذا وعيد بعد وعيد.

﴿كلاّ لو تعلمون علم اليقين﴾. قال قتادة: كنا نحدّث أنّ علم اليقين أنْ يعلم أنّ الله باعثه بعد الموت. **قال البغوي**[٢]: وجواب «لو» محذوف: أي لو تعلمون علماً يقيناً، لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. ﴿لترونّ الجحيم ثم لترونّها

---

(١) في (الأصل): «عشر»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، رحمه الله ــ وهو الصواب.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٨٧).

عين اليقين﴾ قال البغوي: أي ترونها بأبصاركم من بعيد، ثم لترونها مشاهدة. **وقال ابن كثير**[1]: هذا تفسير الوعيد المتقدّم، وهو قوله ﴿كلاّ سوف تعلمون ثم كلاّ سوف تعلمون﴾ توعّدهم بهذا الحال، وهو رؤية النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خرّ كلّ مالك مقرّب ونبيّ مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال. ﴿ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾ قال قتادة: إن الله عز وجل سائل كلّ عبد عما استودعه ممن نعمه وحقّه.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٨٩).

﴿سورة العصر﴾

مكية، وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

* * *

قال ابن كثير[1]: ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب، وذلك قبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدّة؟ فقال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ فقال ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾؛ ففكّر مسيلمة هنيهة ثم قال: وقد أنزل عليّ مثلها، فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: يا وَبَر يا وَبَر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنّي أعلم أنّك تكذب.

قال الشافعيّ رحمه الله: لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم. وعن ابن عباس في قوله ﴿والعصر﴾ قال: العصر ساعة من ساعات النهار.

وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾: أي خسران. ﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال مجاهد: إلاَّ من آمن. ﴿وتواصوا بالحقّ وتواصوا

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٨٩).

بالصبر﴾ قال قتادة: الحقّ كتاب الله، والصبر طاعة الله. **وقال ابن القيّم**[1]: (ولمّا كان الإنسان له قوّتان: قوّة العلم، وقوة العمل؛ وله حالتان: حالة يأتمر فيها بأمر غيره، وحالة يأمر فيها غيره، استثنى سبحانه من كمّل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وانقاد لأمر غيره له بذلك، وأمر غيره به، من الإنسان الذي هو في خسر؛ فإن العبد له حالتان: حالة كمال في نفسه، وحالة تكميل لغيره، وكماله وتكميله موقوف على أمرين: علم بالحقّ، وصبر عليه؛ فتضمَّنت الآية جميع مراتب الكمال الإنسانيّ من العلم النافع، والعمل الصالح، والإحسان إلى نفسه بذلك، وإلى أخيه به، وانقياده، وقبوله لمن يأمره بذلك).

• • •

(١) انظر «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٩٢).

﴿سورة الهمزة﴾

مكية، وهي تسع[١] آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

* * *

عن قتادة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ أما الهمزة فآكل لحوم الناس، وأما اللمزة فالطعّان عليهم. قال ابن إسحاق: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أميّة بن خلف. وقال مجاهد: هي عامّة في حقّ كلّ مَنْ هذه صفته.

قال البغوي[٢]: ثم وصفه فقال ﴿الذي جمع مالاً وعدّده﴾ أحصاه ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ في الدنيا، يظنّ أنه لا يموت مع يساره. ﴿كلاّ﴾ ردّ عليه، أي لا يخلده ماله. ﴿لينبذنّ﴾ ليطرحنّ ﴿في الحطمة﴾ في جهنّم، والحطمة من أسماء النار، سمّيت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها. ﴿وما أدراك ما الحطمة نار الله

---

(١) في (الأصل): «تسعة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٤٩٢).

الموقدة التي تطّلع على الأفئدة﴾: أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة مغلقة ﴿في عمد ممدّدة﴾ قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سدّت بأوتاد من حديد من نار، حتى يرجع عليهم غمّها وحرّها، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح. والممدّدة: من صفة العمد: أي مطوّلة، فتكون أرسخ من القصيرة؛ عياذاً بالله من ذلك.

• • •

الدرس العاشر بعد الثلاثمائة

﴿سورة الفيل﴾

مكيّة، وهي خمس[1] آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

* * *

عن ابن مسعود في قوله ﴿طيراً أبابيل﴾ قال: فرق. وقال ابن عباس: هي التي يتبع بعضها بعضاً. وقال قتادة: الأبابيل الكثيرة.

قال ابن عباس: وكانت طيراً لها خراطيم الطير، وأكفّ كأكفّ الكلاب. وقال عبد بن عمير: هي طير سود بحرية، في أظافرها ومناقرها الحجارة.

قال ابن إسحاق: ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشيّ: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجّ العرب،

---

(١) في (الأصل): «خمسة»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

فلما تحدّثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب في الجاهلية، فخرج حتى أتى القليس فقعد فيها ــ يعني أحدث ــ ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة، قال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحّج العرب إليه بمكّة، لما سمع قولك: أصرف إليها حاج[1] العرب؛ فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه.

ثم أمر الحبشة فتهيّأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظوه وقطعوا به، ورأوا جهاده حقّاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفْر، دعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده، فأجابه إلى ذلك من أجابه ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نَفْر وأصحابه وأخذ فأتي به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب في قبيلتي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ نفيل أسيراً، فأتي به فلما همّ بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم وناهس بالسمع والطاعة؛ فخلّى سبيله وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيننا هذا البيت الذي تريد ــ يعنون اللات ــ إنما تريد البيت الذي بمكّة، ونحن نبعث معك من يدلّك عليه، فتجاوز عنهم فبعثوا معه أبا رغال يدلّه على الطريق إلى مكـة؛ فخرج معه حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب.

(١) في (الأصل): «حج»، وكذا في النسخة التي بخط المؤلف، والمثبت من تفسير ابن جرير.

فلما نزل[1] أبرهة المغمّس بعث رجلاً من الحبشة على خيل له حتى انتهى إلى مكّة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ــ وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها ــ فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميريّ إلى مكّة وقال له: سل عن سيّد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنّي لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم ترضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به. فلما دخل حناطة مكّة سأل عن سيّد قريش وشيرفها فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال حناطة: فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر ــ وكان له صديقاً ــ حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً أو عشيّاً؟ ما عندنا غناء في شيء مما نزل بك، إلاَّ أن أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك وأعظم عليه حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال حسبي. فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عير مكّة، يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت. فقال: أفعل.

فكلّم أنيس أبرهة فأذن له، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم

(١) في (الأصل): «نزله» وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، وهو الصواب.

وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إنّي أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربّاً سيمنعه. قال: ما كان لمتنع منّي قال: أنت وذاك. فردّ أبرهة على عبد المطّلب الإبل التي أصاب له.

فلما انصرف عبد المطلب إلى قريش أخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكّة والتحرّز في شعف الجبال والشعاب تخوّفاً عليهم من معرّة الجيش، ثم قام عبد المطّلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهــمّ إن العبــد يمنــع ... رحلــه فــامنــع حــلالــك
لا يغلبــــن صليبهــــم ... ومحــالهــم أبــداً محــالــك
إن كنــت تــاركهــم وقبلتنــا ... فــأمــر مــا بــدالــك

ثم أرسل عبد المطّلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكّة إذا دخلها؛ فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكّة وهيّأ فيله وعبّأ جيشه ــ وكان اسم الفيل محموداً ــ وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيل إلى مكّة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً، فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى، فوجّهوه

راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكّة فبرك؛ فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كلّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك، وليس كلّهم أصابت؛ وخرجوا هاربين يتبدرون الطريق الذي منه جاؤوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته.

أين المفرّ والإله الطالب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب؟

وقال أيضاً:

ألا حُيّيت عنا يا رُدَيْنَا ... نَعِمْناكُمْ مع الإصباح عَيْنا
أتانا قابس منكم عشاء ... فلم يقدر لقابسكم لَذْينا
رُدَيْنَةُ لو رأيت ولا تريه ... لدى جَنْب المحصّب ما رأينا
إذاً لعذرتِني وحمدتِ أمري ... ولم تأسَيْ على ما فات بينا
حمدتُ الله إذ أبصرت طيراً ... وخفت حجارة تلقى علينا
وكلُّ القوم يسأل عن نفيل ... كأنّ عليّ للحبشان دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ويهلكون بكلّ مهلك على كلّ منهل، وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلّما سقطت منه أنملة اتبعتها منه مدّة تمثّ قيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ، كان مما يعدّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما ردّ عنهم من أمر الحبشة، فقال الله تبارك وتعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول﴾. وقال ﴿لإيلاف

قريش إلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي إطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾: أي لئلاّ يغيّر شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه، فلما ردّ الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم من النقمة، أعظمت العرب قريشاً وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً، فقال عبد الله بن الزبعريّ:

تنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت ... إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... ولسوف يُنْبي الجاهلين عليمُها
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم ... ولم يعش بعد الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهُمُ قبلهم ... والله من فوق العباد يُقيمها

وقال أبو قيس بن الأسلت:

فقوموا فصلّوا ربّكم وتمسّحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء مصدّقٌ ... غداة أبى يكسوم[1] هادي الكتائب
كتيبة بالسهل تمشي ورجله ... على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم ... جنودُ المليك بين سافٍ وحاصِب
فولّوا سراعاً هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عاصب

[انتهى ملخصاً][2]

● ● ●

(١) في (الأصل): «يكوم»، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف، وسيرة ابن هشام (١/ ١٠٠).

(٢) ما بين المعقوفتين: إضافة من النسخة التي بخط المؤلف وانظر هذه القصة ــ قصة الفيل ــ في سيرة ابن هشام (١/ ٨٢ ــ ١٠١).

﴿سورة قريش﴾

مكية، وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾.

* * *

قال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش: أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف.

وعن مجاهد ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: نعمتي على قريش ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ قال: إيلافهم ذلك فلا يشقّ عليهم. وعن ابن عباس في قوله ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ يقول: لزومهم. وعن أبي صالح ﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾ قال: كانوا تجّاراً، فعلم الله حبّهم للشام. وعن قتادة ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: عادة قريش، عادتهم رحلة الشتاء والصيف. قال ابن زيد: كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن.

﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قال قتادة: كانوا يقولون: نحن من حرمة الله، فلا يعرض لهم أحد. **قال ابن كثير**[1] **وقوله تعالى:** ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت﴾: أي فليوحّدوه بالعبادة وحده لا شريك

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٥٣).

له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً؛ ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه؛ كما قال تعالى ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[1]. انتهى ملخصاً.

• • •

(١) سورة النحل: الآية ١١٢.

الدرس الحادي عشر بعد الثلاثمائة

﴿سورة الماعون﴾

مكية، وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

* * *

قال في جامع البيان ﴿أرأيت﴾ الاستفهام للتعجّب ﴿الذي يكذّب بالدين﴾ بالجزاء والبعث. ﴿فذلك الذي يدعّ اليتيم﴾ قال قتادة: يقهره ويظلمه ﴿ولا يحضّ على طعام مسكين﴾ قال ابن كثير[1]: يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته.

﴿فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ قال ابن عباس: الذين يؤخّرونها عن وقتها. وقال ابن أبزى: الذين يؤخّرون الصلاة المكتوبة حتى تخرج من الوقت. وعن مجاهد ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ قال: لاهون. وقال الضحاك في قوله ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون﴾ يعني المنافقين، ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال ابن عباس: العارية. وقال ابن عباس: ﴿الماعون﴾ ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس، والقِدْر، والدلو، وأشباه ذلك.

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٥٤).

﴿سورة الكوثر﴾

مكية، وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

* * *

قال ابن عمر: «الكوثر نهر في الجنّة حافتاه ذهب وفضّة، يجري على الدرّ والياقوت ماؤه، أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»[(١)]. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنّة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل»[(٢)]. متفق عليه واللفظ لأحمد.

وعن مجاهد ﴿فصلّ لربّك وانحر﴾ قال: الصلاة المكتوبة ونحر البدن. ﴿وإن شانئك هو الأبتر﴾ قال ابن عباس يقول: عدوّك. وعن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: «دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٣)، وبنحوه والبخاري (ح/ ٤٩٦٤)، ومسلم (١/ ٣٠٠ و ٣٠١).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٥٩)، وبهذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير وقتادة. وقال بعضهم: إنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، وبهذا روي عن شمر بن عطية، وعكرمة وغيرهم. وقال بعضهم: إنها نزلت في كعب الأشرف، وبهذا روي عن ابن عباس، قلت: وهذه الآية وإن كانت قد نزلت في شخص معين، إلاَّ أنها عامة لجميع من أبغض وعادى رسول الله ﷺ على العصور والدهور، والله أعلم.

﴿سورة الكافرون﴾

مكية، وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

* * *

روى مسلم عن أبي هريرة: «أن النبيّ ﷺ قرأ في ركعتي الفجر ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾»[(١)]. وروى أحمد وغيره أن أبيّ بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سبّح اسم ربك الأعلى﴾ و: ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾»[(٢)].

قال البغوي[(٣)]: نزلت في رهط من قريش قالوا: يا محمد هلمّ فاتبع ديننا ونتّبع دينك ونشركك في أمرنا كلّه، تعبد آلهتنا ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه أخذنا حظّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظّك منه؛ فقال: «معاذ الله أن أشرك به غيره»، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدّقك ونعبد آلهك، فقال: «حتى أنظر ما يأتي من عند

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٧٢٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٢٣)، وأبو داود (ح/ ١٤٢٣)، والنسائي (٣/ ٣٤٤)، وابن ماجه (ح/ ١١٧)، وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنه، أخرجه مسلم (ح/ ٢٩٨٦) بنحوه.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٥٠٥).

ربّي»، فأنزل الله عز وجل ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة؛ فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه[1].

ومعنى الآية: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ في الحال ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الحال ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ في الاستقبال ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الاستقبال؛ وهذا الخطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون. ﴿لكم دينكم﴾ الشرك ﴿ولي دين﴾ الإسلام.

• • •

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٣١) عن ابن عباس.

﴿سورة النصر﴾

مدنية، وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

* * *

عن مجاهد ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكّة ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ قال: زمراً زمراً ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً﴾ قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك. وعن قتادة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قرأها كلّها، قال ابن عباس: «هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حَدَّه الله لنبيّه ﷺ ونعى له نفسه: أي أنك لن تعيش بعدها إلاَّ قليلاً»، قال قتادة: «والله ما عاش بعد ذلك إلاَّ قليلاً، سنتين ثم توفّي ﷺ». وقال مجاهد: «لما نزلت [﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾][1] ونعيت إلى النبيّ ﷺ نفسه، [كان][2] لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقول: سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[3]، وروى الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم

---

(١) ما بين المعقوفتين إضافة من تفسير ابن جرير.

(٢) ما بين المعقوفتين إضافة من النسخة التي بخط المؤلف رحمه الله.

(٣) هذا الحديث من رواية أبي العالية، لا من رواية مجاهد كما توهمه المؤلف رحمه الله، فقد أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٣٠) عن أبي العالية مرسلاً.

السورة قال: نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت؛ قال: فأخذ بأشدّ ما كان قطّ اجتهاداً في أمر الآخرة. وقال رسول الله ﷺ: «بعد ذلك جاء الفتح ونصر الله وجاء أهل اليمن» فقال رجل: يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، ليّنة طباعهم، الإيمان يَمان والفقه يَمان»؛ وفي رواية: «والحكمة يمانيّة»[1].

• • •

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٥٢٥)، وابن جرير (٣٠/ ٣٣٢)، والطبراني (١١/ ٣٢٨)، وهو صحيح.

﴿سورة المسد﴾

مكية، وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾.

* * *

عن قتادة ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾: أي خسرت ﴿وتبّ﴾ قال ابن كثير[1]: الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه. وقال ابن عباس: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا ثم نادى: «يا صباحاه». فاجتمع الناس إليه، فبين رجل يجيء وبين آخر يبعث رسوله، فقال: «يا بني هاشم، يا بني عبد المطّلب، يا بني فهر، يا بني يا بني، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد تغير عليكم صدّقتموني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا دعوتنا؟ فنزلت ﴿تبّت يدا أبي لهب وتبّ﴾[2]. وعن ربيعة بن عباد الديلي[3] قال: رأيت النبيّ ﷺ في

---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ١٣٩٤ و ٣٥٢٥ و ٤٨٠١ و ٤٩٧١ و ٤٩٧٢ و ٤٩٧٣)، ومسلم (ح/ ٢٠٨).

(٣) في (الأصل): «الديلمي»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلاَّ الله تفلحوا». والناس مجتمعون عيله، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابىء كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمّه أبو لهب»[1].

وعن مجاهد ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ قال: ما كسب: ولده، وعن ابن عباس أنه رأى يوماً ولد أبي لهب يقتتلون فجعل يحجز بينهم ويقول: هؤلاء مما كسب. ﴿سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمّالة الحطب﴾ قال ابن عباس: كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبيّ ﷺ ﴿في جيدها﴾: أي عنقها: ﴿حبل من مسد﴾ قال ابن زيد: من شجر ينبت باليمن يقال له مسد. قال الضحاك وغيره: في الدنيا من ليف، وفي الآخرة من نار.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما نزلت ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهد وهي تقول: مذمّماً أبينا ودينه قلبنا وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا وربّ هذا البيت ما هجاك؛ فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيّدها»[2]. رواه ابن أبي حاتم. والله أعلم.

• • •

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢ و ٤/ ٣٤١).

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (١/ ١٥٤)، ومن طريقه ابن أبي حاتم كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٤ ــ ٤٦٥)، والحاكم (٢/ ٣٦١)، وصححه، ووافقه الذهبي.

الدرس الثاني عشر بعد الثلاثمائة

﴿سورة الإخلاص﴾

مكيّة، وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

* * *

عن أبيّ بن كعب أن المشركين قالوا للنبيّ ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾. رواه أحمد وغيره. **زاد ابن جرير**: قال: «﴿الصمد﴾ الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلاَّ سيموت وليس شيء يموت إلاَّ سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث. ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ ولم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٣٣ ــ ١٣٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥)، والترمذي (ح/ ٣٣٦٤)، وابن جرير (٣٠/ ٣٤٢)، وابن أبي عاصم (١/ ٢٩٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (ح/ ٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، قلت: وفي سنده أبو سعد محمد بن مُيَسَّر الصاغاني، وهو ضعيف، وكذلك أبو جعفر الرازي، وهو سيِّىء الحفظ، قال البخاري: «فيه اضطراب» ثم أورده الترمذي مرسلاً (رقم ٣٣٦٥) عن =

وعن أبـي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلّ شيء نسبة، ونسبة الله ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ والصمد ليس بأجوف»[١]. رواه الطبراني.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبـيّ ﷺ بعث رجلاً على سريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبـيّ ﷺ فقال: «سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن عزّ وجلّ، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال النبـيّ ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبّه»[٢]. متفق عليه.

وعن أبـي سعيد أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ يردّدها، فلما أصبح جاء إلى النبـيّ ﷺ فذكر ذلك له ــ وكأن الرجل يتقالّها ــ فقال النبـيّ ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن»[٣]. رواه البخاري.

وعن أبـي هريرة قال: أقبلت مع النبـيّ ﷺ فسمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنّة»[٤]. رواه مالك والترمذي والنسائي.

وعن عبد الله بن خبيب قال: أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله ﷺ

= أبـي العالية بنحو وقال: «فذكر نحوه، ولم يذكر فيه عن أُبَـيّ بن كعب، وهذا أصح من حديث أبـي سعد...». اهـ.

فالترمذي أعل الحديث بالإرسال، بل قبله البخاري ــ رحمه الله ــ في تاريخه (١/ ٢٤٥).

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع البحرين» (٦/ ٩٠) بسند ضعيف جداً.

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٧٣٧٥)، ومسلم (ح/ ٨١٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤)، ومسلم (ح/ ٨١١ و ٨١٢).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٠٨)، والترمذي (ح/ ٢٨٩٧) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٢٦)، والحاكم (١/ ٥٦٦)، وصححه ووافقه الذهبـي، قلت: وسنده حسن، وله شاهد من حديث أبـي أمامة، ومن حديث شيخ أدرك النبـي ﷺ.

يصلّي بنا، فخرج فأخذ بيدي فقال: «قل» فسكتّ قال: «قل» قلت: ما أقول؟ قال: « ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوّذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً، تكفيك كلّ يوم مرتين»[(١)]. رواه عبد الله بن الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

وعن معاذ بن أنس الجهنيّ عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنّة»، فقال عمر: إذاً نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثر وأطيب»[(٢)].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلّي يدعو يقول: اللهمّ إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قال: «والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[(٣)]. رواه أهل السنن.

وعن عائشة: «أن النبيّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلّ ليلة، جمع كفّيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرّات»[(٤)]. رواه البخاري وغيره.

قوله عز وجل: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال ابن جرير[(٥)]: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ٣١٢)، وأبو داود (ح/ ٥٠٨٢)، والترمذي (ح/ ٣٥٧٠)، وقال: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، والنسائي (٨/ ٢٥١)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٧) بسند ضعيف.

(٣) سبق تخريجه في كتاب «كشف ما ألقاه إبليس» (ص ٩٢ ــ ٩٣) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (ح/ ٥٠١٧ و ٥٧٤٨ و ٦٣١٩).

(٥) انظر «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٣).

السائلين عن نسب ربك وصفته ﴿هو الله﴾ الذي له عبادة كلّ شيء، لا تنبغي العبادة إلاَّ له ولا تصلح لشيء سواه. وقال ابن كثير ﴿قل هو الله أحد﴾: يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل؛ ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلاَّ على الله عز وجل، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

قوله عز وجل: ﴿الله الصمد﴾ قال ابن عباس: «**الصمد الذي ليس بأجوف**». وقال الشعبي: «الصمد الذي لا يطعَم الطعام». وقال أبو العالية: «الصمد الذي لم يلد ولم يولد». وعن ابن عباس في قوله ﴿الصمد﴾ يقول: «السيّد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغنيّ الذي قد كمل في غناه، والجبّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلاَّ له»، وقال قتادة: «الصمد الدائم».

قال ابن كثير[1]: وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنّة له، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال: وكلّ هذه صحيحة، وهي صفات ربّنا عزّ وجلّ، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه.

قوله عز وجل: ﴿لم يلد ولم يولد﴾: أي ليس له ولد ولا والد؛ قال تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً إن كلّ من في السموات والأرض إلاَّ آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدَّهم عدّاً

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٧٠).

وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾[١]؛ وقال تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً﴾[٢]. وفي صحيح البخاري عن النبيّ ﷺ قال: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم»[٣].

قوله عز وجل: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قال ابن عباس: ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهّار. وعن مجاهد ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قال: صاحبة؛ وقد قال تعالى ﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض أنّي يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلاَّ هو خالق كلّ شيء فاعبدوه وهو على كلّ شيء وكيل﴾[٤] وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «قال الله عز وجل كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إيّاي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته؛ وأما شتمه إيّاي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»[٥].

قال أبو العباس بن سريج[٦] في تفسير قوله ﷺ في سورة قل هو الله أحد إنها تعدل ثلث القرآن: «إن الله أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منه أحكام، وثلث

---

(١) سورة مريم: الآية ٨٨ ــ ٩٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١١١.

(٣) أخرجه البخاري (ح/٦٠٩٩ و ٧٣٧٨)، ومسلم (ح/٢٨٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) سورة الأنعام: الآيات ١٠٠ ــ ١٠٢.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: «جواب أهل العلم والإيمان» لابن تيمية (ص ٩ و ٦٢).

منه وعد ووعيد، وثلث منه الأسماء والصفات؛ وهذه السورة جمعت القسم الثالث». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا القول هو الصواب.

قلت: ويحسن إعادة ذكر الأسماء الحسنى ههنا، ففي الصحيحين عن أبـي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة إلاَّ واحداً، من أحصاها دخل الجّنة، وهو وتر يحبّ الوتر»[1].

زاد الترمذي بعد قوله وهو قوله: «وهو وتر يحبّ الوتر: هو الله الذي لا إله إلاَّ هو الرحمٰن الرحيم الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر الخالق البارىء المصوّر الغفّار القهّار الوهّاب الرزّاق الفتّاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعزّ المذلّ السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العليّ الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحقّ الوكيل القويّ المتين الوليّ الحميد المحصي المبدىء المعيد المحي المميت الحيّ القيّوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدّم المؤخّر الأوّل الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البَرّ التوّاب المنتقم العفوّ الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرم المقسط الجامع الغنيّ المغني المعطي المانع الضارّ النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور».

• • •

(١) الحديث سبق تخريجه، والزيادة التي رواها الترمذي وغيره، إنما هي مدرجة من بعض الرواة، وليست من قول النبـي ﷺ.

الدرس الثالث عشر بعد الثلاثمائة

﴿سورة الفلق﴾

مكية، هي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

* * *

﴿سورة الناس﴾

مكية، وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

* * *

عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهنّ قطّ؟ ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾»[1]. رواه مسلم وغيره. **وفي رواية لأحمد**: بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقبة ألاَ تركب؟» قلن: فأشفقت أن تكون معصية، فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيّة ثم قال: «يا عقبة، ألاَ أعلّمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس»؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأقرأني ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾؛ ثم أقيمت الصلاة فتقدّم رسول الله ﷺ فقرأ بهما، ثم مرّ بي فقال: «كيف رأيت يا عقبة؟ اقرأ بهما كلّما نمت وكلّما قمت»[2].

وفي رواية: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوّذات في دبر كلّ صلاة»[3].

وللنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لم يتعوّذوا بمثل هذين ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾»[4].

وروى الترمذي وغيره عن أبي سعيد: «أن رسول الله ﷺ كان يتعوّذ من أعين الجانّ وأعين الإنسان، فلما نزلت المعوّذتان أخذ بهما وترك ما سواهما»[5].

قوله عز وجل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٨١٤).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٤)، وأبو داود (ح/ ١٤٦٢)، والنسائي (٨/ ١٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود (ح/ ١٥٢٣)، والترمذي (ح/ ٢٩٠٥)، وقال: «حسن غريب»، والنسائي (٣/ ٦٨).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٤٢).

(٥) أخرجه الترمذي (ح/ ٢٠٥٩) وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائي (٨/ ٢٧١)، وابن ماج (ح/ ٣٥١١)، قال ابن كثير في تفسيره (٥٧٧٤) بعدما أورد هذه الأحاديث مع طرقها: «فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث».

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

عن الحسن في هذه الآية ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ قال: الفلق الصبح. ﴿من شرّ ما خلق﴾ قال ابن كثير[1]: أي من شرّ جميع المخلوقات. ﴿ومن شرّ غاسق إذا وقب﴾ قال الحسن: أول الليل إذا أظلم. ﴿ومن شرّ النّفّاثات في العقد﴾ قال: السواحر والسحرة. ﴿ومن شرّ حاسد إذا حسد﴾ قال قتادة: من شرّ عينه ونفسه. وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهنّ ــ قال سفيان: وهذا أشدّ ما يكون من السحر إذا كان كذا ــ فقال: «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما أستفتيته؟ أتاني رجلان فقعدا أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليّ، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم ــ رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً ــ قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جفّ طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان». قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: «هذه البئر التي أُريتُنها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، كأن نخلها رؤوس الشياطين»، قال: فاستخرج فقلت: أفلا تنشّرت؟ وفي رواية لمسلم: أفلا أحرقته؟ ــ قال القرطبي: يعني لبيد ــ فقال: «أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرّاً»[2]. رواه البخاري.

وروى البغوي عن زيد بن أرقم قال: «سحر النبيّ ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ عليّاً فاستخرجها فجاء بها، فجعل كلّما حلّ عقدة وجد لذلك خفّة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال؛ فما ذكر لليهوديّ ولا

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٣٢٦٨ و ٥٧٦٣ و ٥٧٦٥ و ٥٧٦٦)، ومسلم بنحوه (ح/ ٢١٨٩).

رآه في وجهه قطّ»[١]. قال مقاتل والكلبيّ: كان في وتد عقد عليه إحدى عشرة عقدة؛ وقيل: كانت العقد مقرونة بالإبر، فأنزل الله هاتين السورتين، وهي إحدى عشرة آية، كلّما قرأ آية انحلّت عقدة، حتى انحلّت العقد كلّها، فقام النبيّ ﷺ كأنما نشط من عقال.

وساق بسنده عن أبي سعيد أن جبريل عليه السلام أتى النبيّ ﷺ فقال: «يا محمد اشتكيت؟ قال: «نعم». قال: بسم الله أرقيك، من كلّ شيء يؤذيك، من شرّ كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[٢].

قوله عز وجل ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

قال ابن كثير[٣]: هذه ثلاث صفات من صفات الربّ عزّ وجلّ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو ربّ كلّ شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوّذ بالمتّصف بهذه الصفات من شرّ الوسواس الخنّاس وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلاّ وله قرين يزيّن له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله.

وعن ابن عباس في قوله ﴿الوسواس الخنّاس﴾ قال: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس»[٤]. وقال قتادة: يعني الشيطان يوسوس في صدر ابن آدم ويخنس إذا ذكر الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧)، والنسائي (٧/ ١١٣)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح/ ٢١٨٦).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٧٤).

(٤) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٥)، وبمعناه موقوفاً عن ابن عباس أيضاً: أخرجه البخاري معلقاً (٣/ ٣٣٥).

قال البغوي[١]: ﴿الذي يوسوس في صدور النّاس﴾ بالكلام الخفيّ الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع. ﴿من الجنّة والنّاس﴾ يعني يدخل في الجنّيّ كما يدخل في الإنسيّ، ويوسوس الجنّيّ كما يوسوس الإنسيّ. قال الكلبي وقوله: ﴿في صدور النّاس﴾ أراد بالنّاس ما ذكر من بعد، وهو الجِنّة والنّاس، فسمّى الجن ناساً كما سمّاهم رجالاً فقال ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ﴾[٢]. وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدّث: جاء قوم من الجنّ فوقعوا فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجنّ. وهذا معنى قول الفرّاء: قال بعضهم: ثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان؛ فجعل الوسواس من فعل الجنّة والناس جميعاً، كما قال ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً شياطين الإنس والجنّ﴾[٣]؛ كأنه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس جميعاً. انتهى. وقال بعضهم: فكما أن شيطان الجنّ يوسوس تارة ويخنس أخرى، فكذلك شيطان الإنس يرى نفسه كالناصح المشفق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحدّث نفسي بالشيء لأن أخِرّ من السماء أحبّ إليّ من أن أتكلم به، فقال النبيّ ﷺ: «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[٤]. رواه أحمد وغيره. والله أعلم.

---

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٥١٨).

(٢) سورة الجن: الآية ٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥)، وأبو داود (ح/ ٥١١٢)، وهو حديث صحيح.

(مناسبة لطيفة)

وقع في حديث أبـي ذرّ الطويل المشهور: أن عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ وفي رواية خمسة عشر؛ وفي رواية بضعة عشر. وقد رواه أحمد وغيره مختصراً ومطوّلاً.

قال محمد بن الحسين الآجريّ: حدّثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابـيّ[1] إملاء في شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، حدّثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، حدّثنا أبـي عن جدّه عن أبـي إدريس الخولانيّ عن أبـي ذرّ رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقلت: يا رسول الله إنّك أمرتني بالصلاة. قال: «الصلاة خيرٌ موضوع، فاستكثر أو استقلّ». قال قلت: يا رسول الله فأيّ الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله». فقلت: يا رسول الله فأيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً». قلت: يا رسول الله فأيّ المسلمين أسلم؟ قال: من سلم الناس من لسانه ويده» فقلت: يا رسول الله فأيّ الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السيّئات». قلت: يا رسول الله أيّ الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت». قلت: يا رسول الله أيّ الصيام أفضل؟ قال: «فرض مجزىء، وعند الله أضعاف كثيرة». قلت: يا رسول الله فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه». قلت: يا رسول الله فأيّ الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها». قلت: يا رسول الله فأيّ الصدقة أفضل؟ قال:

---

(١) في (الأصل): «الغريابـي»، وهو خطأ، والمثبت من النسخة التي بخط المؤلف ــ رحمه الله ــ وهو الصواب.

«جهد من مقلّ أوسر إلى فقير». قلت: يا رسول الله فأيّ آية ما أنزل عليك أعظم ؟ قال: «آية الكرسي ــ ثم قال ــ يا أبا ذرّ، وما السموات السبع مع الكرسيّ إلاَّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على الحلقة». قال قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». قال قلت: يا رسول الله كم المرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمّ غفير كثير طيّب». قلت: فمن كان أوّلهم؟ قال: «آدم». قلت: أنبيّ مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه وسوّاه قبيلاً ــ ثم قال ــ يا أبا ذرّ، أربعة سريانيّون: آدم، وشيث، وخنوخ ــ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بقلم ــ ونوح؛ وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيّك يا أبا ذرّ؛ وأوّل أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وأوّل الرسل آدم، وآخرهم محمّد». قال قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزل الله؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان». قال قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت : يا أيها الملك المسلّط المبتلى المغرور، إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكنّي بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافر. وكان فيها أمثال. وعلى العاقل أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكّر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ضاغناً إلاَّ لثلاث: تزوّد لمعاد، ومرمرة لمعاش، ولذّة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاَّ فيما يعنيه». قال قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: «كانت عبراً كلّها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالمقدّر ثم هو ينصَب،

وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلّبها بأهلها ثم يطمئنّ إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل». قال قلت: يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال: نعم، اقرأ يا أبا ذرّ: ﴿قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربك فصلّى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إنّ هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾». قال قلت: يا رسول الله فأوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك». قال قلت: يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض». قال قلت: يا رسول الله زدني، قال: «إياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه». قلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بالجهاد، فإنه رهبانيّة أمّتي». قلت: زدني، قال: «عليك بالصمت إلاَّ من خير، فإنّه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك». قلت: زدني، قال: «أنظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر لك لا تزدري نعمة الله عليك». قلت: زدني، قال: «أحبّ المساكين وجالسهم، فإنه أجدر لك أن لا تزدري نعمة الله عليك». قلت: زدني، قال: «صل قرابتك وإن قطعوك». قلت: زدني، قال: «قل الحقّ وإن كان مرّاً». قلت زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم». قلت: زدني، قال: «يردّك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجدْ عليهم فيما تحبّ، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك، أو تجد عليهم فيما تحب ــ ثم ضرب بيده صدري فقال ــ يا أبا ذرّ، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حسب كحسن الخلق»[1]. انتهى. والله أعلم.

• • •

(١) أخرجه الآجري في «الأربعون حديثاً التي حثَّ النبي ﷺ على حفظها» (ح/ ٤٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ح/ ٧٤٠)، وابن حبان في الموارد (ح/ ٩٤ و ٢٠٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦ ــ ١٦٨)، بسند موضوع.